دراسات تحليلية مقارنة لمجموعة غير منشورة من المنحوتات العربية الجنوبية

د. حميد إبراهيم المزروع
قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب
جامعة الملك سعود - الرياض

ملخص البحث

يقدم هذا البحث دراسة تحليلية ومقارنة لمجموعات غير منشورة من الأعمال النحتية الجنوبية[1]. وتتألف المجموعات من خمس قطع، اثنتان منها تمثل شكلين آدميين، واثنتان أخريان تمثلان شكلين حيوانيين. أما القطعة الأخيرة فهي لوح حجري مستطيل الشكل يحتوي على نقش كتب بخط المسند الجنوبي.

تركز الدراسة على تحليل الجوانب الأسلوبية والفنية لهذه الأعمال الفنية. ومن خلال الدراسة المقارنة مع معثورات مشابهة لها في جنوب الجزيرة العربية وغيرها، تم التوصل إلى بعض الاستنتاجات التي تشير إلى أن هذه النماذج الفنية تحمل في مضمونها بعض المفاهيم الدينية القديمة. كما تركز الدراسة على قراءة النقوش الظاهرة على بعض هذه المشغولات النحتية.

تتكون مادة الدراسة من خمسة أعمال نحتية متنوعة (اللوحات ١-٥، الأشكال ١-٥)، الحجر الجيري (LIMESTONE) والمرمر (ALABASTER). ثلاثة منها تحتوي على نقوش جنوبية (اللوحات ١، ٣، ٤) تكشف في أغلب الأحيان عن أسماء أشخاص. ونتيجة لتباين الأساليب الفنية لهذه الأعمال النحتية، فقد تم استعراضها بناءً على الدراسة التصنيفية لها. ولذلك فقد قسمت المادة إلى ثلاث مجموعات رئيسية، كما صُنِّفت المنحوتات المدرجة في المجموعات الثانية إلى أنواع أو أنماط، وذلك لاعتبارات تتعلق بالخصائص الفنية المميزة لكل قطعة.

١ - المجموعة الأولى: التماثيل الآدمية:

تشمل هذه المجموعة تمثالين آدميين مصنوعين من الحجر الجيري (اللوحتان: ١، ٢ الشكلان: ١، ٢)، الأول منهما يحتوي على نقش بالخط المسند، مكون من خمسة حروف. ومن أهم الملامح الأسلوبية التي يشترك فيها هذان التمثالان أولاً: تشابه شكلهما العموديين، المستمدين من الشكل المستطيل للوح الأصلي، حيث يظهر ذلك من خلال تتبع زوايا الأكتاف في التمثال غير مكتمل التنفيذ (اللوحة ١). ثانياً: التشابه في كلا التمثالين في ملامح وجهيهما وبخاصة أنفيهما الطويلين الملتقيين مع سطح الوجه بزاوية شبه حادة. ثالثاً: طريقة تجويف العيون المتشابهة في عملية تصميم وكذلك العيون لكونها كبيرة نسبياً. رابعاً: تسطيح قمة الرأس في كلا العملين.

إن هذه الملامح الأسلوبية تعتبر من أهم الخصائص الفنية التي تميز مدارس فن النحت في الجزيرة العربية وعلى وجه الخصوص في الجنوب[٢] ومن خلال الأبحاث المنشورة والتي تطرقت إلى فنون الجزيرة العربية، فهناك أكثر من عمل فني يمكن أن يقارن مع التمثالين موضوع الدراسة. لكنه يُكتفى بالإشارة إلى أحد

التماثيل التابعة لمجموعة (K. MUNCHERJEE)، والذي نشرته جاكلين بيرين[٣]، لما لذلك التمثال من أوجه الشبه العديدة مع التمثال الموضح في اللوحة ٢، وتذكر بيرين أن ذلك التمثال محفوظ في متحف عدن الوطني، والأرجح أنه جاء من أحد المواقع الأثرية التابعة لمملكة حضرموت!.

ويظهر على التمثال الأول (اللوحة ١) نقش بخط المسند مكون من خمسة حروف تقرأ من اليمين إلى اليسار كالتالي:

أ ب ص د ق: تكون اسماً علماً مركباً من جزأين الأول «أب» والثاني «صدق»، ويعني «الأب الصادق». وقد ورد هذا الاسم نفسه في ستة نقوش عربية جنوبية، خمسة منها قتبانية والسادس حضرمي[٤].

تعتبر كتابة الأسماء على الأعمال الفنية العربية الجنوبية من التقاليد المتأصلة في جنوب الجزيرة العربية، فهي من ناحية توضح ملكية العمل الفني، ومن ناحية أخرى فإنها تعني الإشارة إلى اسم المتقرب للمعبود ذلك لأن أغلب تلك الأعمال قد صنعت لأهداف دينية، وتقدم كنذور وهدايا للآلهة، وبالتالي فإن الفنان يحرص على كتابة اسم صاحب التمثال، أو مقدمه في مكان واضح، وإن أثّر ذلك سلباً في القيمة الجمالية للعمل الفني. ونلاحظ هذا التوجه عند الفنان العربي لا في صناعة التماثيل الآدمية فحسب، وإنما في عمل شواهد القبور، والتي لا ينحت عليها سوى بعض ملامح الوجه كالعيون والأنوف[٥] وفي المنحوتات الأخرى المتمثلة في الأفاريز، المنفذة بأسلوب النحت الغائر أو البارز.

٢ - المجموعة الثانية: التماثيل الحيوانية

تتكون هذه المجموعة من عملين نحتيين، مصنوعين من الرخام (اللوحتان ٣، ٤)، وعلى الرغم من تشابه الوحدة الموضوعية لكلا النحتين، إلا أنهما يختلفان

اختلافاً كلياً من الناحية الأسلوبية والواقعية، وكذلك المضمون. لذلك، فقد أدرج كل نحت منهما تحت نمط مستقل.

النمط الأول:

يضم هذا النمط نحت الثور المجنح (اللوحة ٣، الشكل ٣)، وقد صور الثور بهيئة نادرة تظهر للمرة الأولى في فنون جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد أطلق الفنان العنان لمخيلته في هذا النحت ليصور كائناً خرافياً جمع ما بين مقدمة الثور المجنح، في حركة ورشاقة واضحتين، وبين ما يبدو أنه جسم ثعبان ينتهي بذيل سمكة. وقد زينت اللوحة بإطار زخرفي بارز يحتوي على عنصرين زخرفيين مميزين (الشكل ٣)، الأول منهما يظهر على الجزء العلوي والسفلي من النحت على شكل عنصر زخرفي حلزوني متكرر، والثاني منهما على شكل أنصاف بيضاوية أحدها داخل الآخر.

إن الثور من الحيوانات التي اكتسبت أهمية كبيرة عند مجتمعات جنوب الجزيرة العربية بشكل خاص، وقد انعكس هذا الاهتمام في كثرة الأعمال النحتية التي تصور هذا الكائن بهيئات مختلفة. ومن المعروف أن هذا الحيوان لم يكن مقدساً في نفسه في حضارات الشرق الأدنى القديم، وإنما كان يرمز لإله معين يقترن به[٦]. وفي جنوب الجزيرة بصفة خاصة، أُتخذ الثور رمزاً للمعبود العربي الجنوبي «المقة»[٧]، حيث نحت إما على شكل تماثيل صغيرة تقدم كنذور وهدايا للآلهة، أو ينحت رأس الثور نحتاً غائراً مع رموز دينية أخرى له مثل البدر أو الهلال، كما في النحت المدرج في النمط الثاني (اللوحة ٤، الشكل ٤)، وغالباً ما يتكرر ظهور هذه الرموز مجتمعة على جوانب المجامر بأنواعها الصغيرة والكبيرة.

أما موضوع النحت محل الدراسة فيشكل إضافة نوعية جديدة لأنواع الكائنات الخرافية (GRIFFINS) التي ظهرت في فنون جنوب الجزيرة العربية[٨]، ويختلف عنها

بإظهاره الثور المجنح المنتهي بذيل سمكة، بدلاً من أبو الهول، بجسم أسد مجنح، والأخير من الموضوعات الأسطورية التي تحمل مغزىً دينياً، والتي تكرر ظهورها بأنواع متباينة في الفنون الأشورية[٩]. وفي غياب أعمال فنية مشابهة تماماً لموضوع النحت محل الاهتمام يجدر بنا أن نقارن العناصر الزخرفية الظاهرة على إطاره مع تلك العناصر الزخرفية التي ظهرت على كوب من الفضة عثر عليه في موقع أم ذيبية (مقبرة) في شبوة بواسطة البعثة الفرنسية[١٠]. فقد زين الكوب بالإضافة إلى العناصر الزخرفية المشابهة للنحت موضوع الدراسة، بأشكال لحيوانات خرافية مجنحة ربما تكون لأسود أو كلاب[١١]. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكوب قد أرخ إلى القرن الثاني بعد الميلاد. والسؤال الذي لا يمكن الإجابة عنه بشكل مؤكد هو: إن كان النحت المدروس هنا من شبوة أيضاً؟ على أي حال، الخطوط الفنية العامة لهذا النحت تنسجم مع الأعمال الفنية العربية الجنوبية المتأخرة والتي تعود إلى القرن الثاني - الثالث بعد الميلاد.

النمط الثاني:

يشمل هذا النمط لوحاً حجرياً من المرمر (اللوحة ٤، الشكل ٤)، نحت عليه رأس ثور مواجه للناظر، بأسلوب التحزيز وبشكل تجريدي. وقد برز في النحت تصوير القرون في شكل هلال، لتكون مع رأس الثور الرمز التقليدي للمقة، إله القمر العربي الجنوبي.

على هذا النحت نقشان صغيران كتبا بالخط المسند الجنوبي ويقرأان من اليمين إلى اليسار، الأول والذي يظهر في أقصى اليمين، مكون من أربعة حروف تقرأ: «م ع د أ»، ومن المحتمل أن الحرف الأخير «أ» مضاف لتكملة كلمة «أل» والتي لا يظهر منها حرف اللام الأخير. أما الحروف الثلاثة الأولى فتكون كلمة «معدّ»، وهي اسم علم ورد في العديد من النقوش العربية الجنوبية[١٢].

أما النقش الثاني فقد كتب بشكل عشوائي وغير واضح، ويشتمل على خمسة حروف تقرأ: «د د هـ ل ل».

المجموعة الثالثة:

تحتوي هذه المجموعة على قطعة واحدة، هي شاهد قبر مستطيل الشكل إلى حد ما، أعلاه متسع عن قاعدته (اللوحة ٥، الشكل ٥)، مصنوع من المرمر. عليه نقش جنوبي مكون من سطرين يقرأان كالتالي:

١- م ع م ر / و ش ك م

٢- ب ع ل م / ع هـ

المعنى:

١- تذكار وشيكم

٢- بعلم ع هـ

معمر: يبدأ بها النص وهي على وزن مَفْعَلْ المشتقة من الجذر عمر، وفسِّرت كلمة معمر هذه في المعجم السبئي بمعنى «تذكار»[١٣].

و ش ك م: اسم علم يحتوي على الجذر «و ش ك» يضاف إليه حرف الميم «التمييم». ويمكن أن يقرأ هذا الاسم على وزن فَعيل، قياساً على الاسم (وشيك)، الذي يرد اسماً علماً في فهرس الموروث العربي[١٤]، والاسم معروف في النقوش السبئية أيضاً[١٥].

ب ع ل م: اسم علم مكون من «ب ع ل» ثم التمييم. وكلمة بعل تعني في النقوش العربية الجنوبية «صاحب، رب، مالك»[١٦] الاسم بعلم ربما يكون في هذا النقش اسم الأب أو اسم القبيلة التي ينتسب إليها صاحب النص وشيكم، قارن ذ ب ع ل م كاسم قبيلة في النقش القتباني RES 4096[١٧].

بقية النقش يمثلها حرفا العين والهاء، اللذان يجوز اعتبارهما حرفين من كلمة ناقصة، أو رمزاً إلى اسم كاتب النص.

المراجع

(١) عرضت هذه المادة على الباحث في عام ١٩٩٤م، ويذكر صاحبها بأنها تعود لملكية خاصة، اشتريت من محافظة شبوة. إلا أنه لم يحدد اسم الموقع الأثري الذي جاءته منه.

(٢) Al. Mazroo'H 1990. A Stylistic and Comparative Study of unpublished Pre-Islamic Stone Sculpture from Arabia, Unpublished Thesis, University College, London; pp. 101-134.

(٣) Pirenne, J. 1986. Corpus des Inscriptions et Antiquites Sud-Arabes: Le Musèe d 'Aden, Tome II, fascicule 2. pp. II. 285.

(٤) Harding, G.L. 1971 An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions. University of Toronto Press, p. 13.

(٥) Cleveland, R. L. 1965 An Ancient South Arabian Necropolis. Publication of the American Foundation for the Study of Man, Vol. IV. Baltimore: Johns Hopkins Press, pp. 38-39 (Tc. 1074), and (Tc. 1938, Tc. 1645).

(٦) المرجع السابق نفسه، ص ٣٦ .

(٧) Grohman, A. 1917 Göttersymbole and symboltiere aufsüdarabischen Denkmälern (DSAWW 58/1. Abh), Wien, p. 65.

(٨) Pirenne, J. 1977. Corpus Des Inscriptions Et Antiquitès Sud-Arabes. Tome I. Section 2. Louvein. pp. I. 465-I 472.

(٩) أندريه بارو، ١٩٨٠، بلاد أشور، ترجمة د. عيسى سلمان وسليم طه، بغداد، دار الرشيد، ص ١٧٥، وانظر كذلك:

Doe, B. 1971. Southern Arabia, Thames and Hudson, p. 100.

(١٠) جان فرانسوا بروتون ومحمد عبد القادر بافقيه، ١٩٩٣، كنوز وادي ضراء، المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى، المكتبة الأركيولوجية والتاريخية، مجلد ١٤١، باريس ص ص ٤٣-٤٤ اللوحة ٢٢، الشكل ٦٥ .

(١١) المرجع السابق نفسه ص ٤٤ .

(١٢) Harding, G. L. 1971. An Index and Concor dance of pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions. University of toronto press. p. 552.

(١٣) Beeston, A. & Others, 1982, Sabaic Dictionary, Beirut/Louvain, p. 17.

(١٤) الزبيدي، محمد مرتضى ١٩٦٦، تاج العروس، ٧، بيروت، ص ١٩١.

(١٥) CIH: Corpus Inscriptionum Semiticarum pars quarta. Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas Contimnenes Tomus I, II, III. Parisiis. 1989, 1911, 1929.

(١٦) Beeston, A. & Others. 1982. Sabaic Dictionary, Beirut/Louvain. p. 25.

(١٧) RES: Rèpertoire d'Èpigraphie Sèmitique Publile Par la Commission du Corpus Inscriptionum Semiticarum, Tome V, VI, VII, VIII, Paris. 1929, 1935, 1950, 1968.



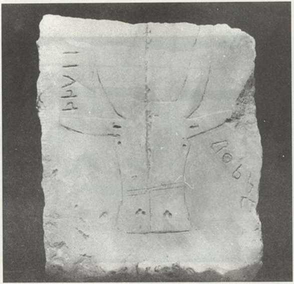
(اللوحة :١)



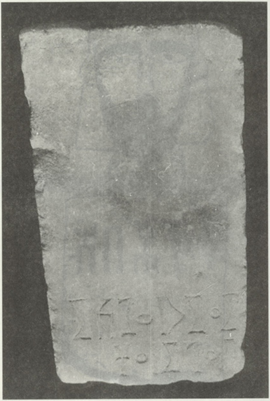
(اللوحة :٢)



(اللوحة :٣)



(اللوحة :٤)



(اللوحة :٥)



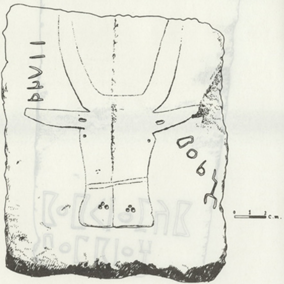
(الشكل :١)



(الشكل :٢)



(الشكل :٣)



(الشكل :٤)



(الشكل : ٥)